علاقة الطب بالمنطق عند ابن سينا

إعداد: محمد شطوطي
أستاذ مكلف بالدروس
قسم الفلسفة – جامعة الجزائر

الملخص:
موضوع هذه المقالة هي دراسة في دور ابن سينا الذي أبـرز العلاقـة بـين الطب، والمنطق، وهو كطبيب وجد في المنطق أداة أحكام دقيقة عن طريق القضايا الممكنة، والقضايا الشخصية، وقواعد التعريف المنطقي للدواء...
إذن هناك علاقة بين المنطق والطب عند ابن سينا.

Résumé :
Le sujet de cette article c'est une étude sur le rôle de Ibn Sina, qui montre la relation entre la logique et la médecine.
Est comme un médecin il a trouvé dans la logique un moyen pour des jugements justes par les propositions possibles et propositions personnelles (individus) et les règles de la définitions logique pour les médicaments...
Donc, il y a un relation entre la logique et la médecine chez IBn Sina.

تمهيد:

تختلف الروايات في مصدر علم ابن سينا بالطبّ، وقال بعضهم أنّه علّم نفسه بنظره، وملاحظاته، وتجاربه، وقال البعض الآخر؛ أنّه تلقاه عن عيسى بن يحيى بن إبراهيم، كان تلميذا لحنين بن إسحق، وكان فاضلا؛ له مصنفات في الطب (ابن أبي أصيبعة. 1965: 279)، نقل المؤلفات اليونانية إلى العربية منها (الخصائص)، وتلقاه عن أبي سهل المسيحي الجرجاني كان طبيباً بارعًا في صناعة الطبّ، علّمها، ومارسها، ومن كلام أبي سهل عيسى بن يحيى المسيحي، قوله: ((نومة بالنهار بعد أكلة، خير من شربة دواء نافع) (المرجع السابق: 436.)، ومن كتبه؛ كتاب المائة في الطبّ، وهو من أجود كتبه، وله مقالة في الجذري، وكتاب الطبّ الكلي...

ومن الذين تلقى عنهم ابن سينا صناعة الطب، أبي منصور القمري، وغيرهم، ويتفق الجميع على أنّه؛ أي ابن سينا بلغ في صناعة الطب ما لم يبلغه أي من الأطباء المعاصرين له: ((لقد رغب ابن سينا في تعلم الطب؛ لأنه وجده من العلوم السهلة؛ وخلال مدّة قصيرة بدأ فضلاء الطب يقرؤون عليه هذا العلم، ولما بلغ الستة عشر عاما، وقد قرن العلم بالعمل، متعهدا العناية بالمرضى (كيهان رهكذر. 2005: قرص مرئي) انفتحت له أبواب كثيرة في المعالجات حتّى شاع ذِكره (زهير البابا، محمد. 1984: المقدمة)، وابن سينا لم يكن طبيبا في هذا السّن؛ فحسب، بل كان معلمًا في الطبّ؛ يتعهد المرضى، ويبرع في علاجهم، ويعلم الراغبين في صناعة الطبّ من اقتباساته، ومطالعاته، وما استنتجه من تجارب، وخبرات، وما هي إلاّ سنوات قلائل حتّى اشتهر اسمه بين النّاس كطبيب بارع، فاستدعوه لمداواة الأمير (نوح بن منصور الساماني) (أمير في الدولة السامانية، وهي سلالة إيرانية حكمت في خُراسان.)، وقد نجح في علاجه نجاحا أذهل العقول، فقرّ به الأمير نوح بن منصور إليه، ومقابل ذلك سمح له أن يتردد على مكتبته الزاخرة بالكتب، والمصنفات في كل العلوم، وقد استفاد ابن سينا منها فائدة عظيمة... لقد فتحت له أبواب مجهولة في الطب، وكيفية معالجات المرضى، والدليل على ذلك كتابه المعروف بـ (القانون في الطب)، الذي هو بمثابة موسوعة في مجال الطب.

التعريف بـ: علم الطب:

يعرّف ابن سينا الطب في كتابه (القانون في الطب): ((.. أنّ الطب علم يتعرّف منه أحوال بدن الإنسان من جهة ما يصح، ويزول عن الصّحة ليحفظ الصحة حاصلة، ويستردها زائلة) (ابن سينا، أبو علي. (ب،ت) : 3.) ، وللذين يريدون معرفة الغاية من الكتاب الذي سبق ذكره هو أنّه (شفاء الأبدان)

(canon de la médecine (guérison des corps)))Ibn Sina, Abou Ali. 15. 1955)) وقد اعتمد ابن سينا في تركيب، وتأليف كتاب القانون على أطباء أمثال (جالينوس) وجالينوس، فيلسوف، وطبيب يوناني (131–201 م).، وهذا ما جعل ابن سينا يتقدم في مجال صناعة الطب؛ لأنه اطلع على من سبقوه في ميدان علم النبات، والأعشاب، ولم يكن ابن سينا مقلدًا لـ: جالينوس، أو غيره، بل جمع بين مدارس، ومزج تعاليمهم، وأضاف إليهم مما حصل عليه من تجاربه الخاصة، وملاحظاته..

وقد كان ابن سينا أثناء المعالجات يدوّن كل الملاحظات، والنتائج، وقد جمعها في قصاصات على أمل وضع مؤلف يجمع كل تلك الملاحظات، وإلحاقها بكتاب القانون؛ لكن توفي قبل تحقيق ذلك!

ومما لا شك فيه أن أشهر كتاب في الطب ألفه الشيخ الرئيس ابن سينا، وذاع صيته في الشرق، والغرب، هو كتاب (القانون في الطب)، فقد اعتمد في كليات الطب بأوربا حتّى القرن السابع عشر، مثل كلية لوفان؛ لوفان (جامعة قديمة ومشهورة بـ(بلجيكا) – Louvain)، وكلية مونبلييه (مونبلييه جامعة فرنسية بها مدرسة عليا للصيدلة – Monplier)، كمرجع أساسي لا يمكن الاستغناء عنه، ولم يختف درس طبيات ابن سينا من مناهج الجامعات البلجيكية إلاّ في سنة 1909 طرابيشي جورج. 1997: 29.

علوم الطب عند ابن سينا:

يقسم ابن سينا علوم الطب إلى علمي، وعملي، والعلمي إلى أربعة أقسام؛ القسم الأول: العلم بالأمور الطبيعية نذكر منها: الأركان، أو الأسطقسات (العناصر)، وهي: (النار، والتراب، والهواء، والماء)، ومنها الأمزجة، وهي كيفيات، أو صفات تتصف بها العناصر، أو الأخلاط (سوائل البدن)،أو الكائنات بصفة عامة، والقسم الثاني: وهو العلم بالأسباب، وهي: الهواء، والأكل، وحركة البدن، والبرد (المناخ)، والنوم، والقسم الثالث: وهو العلم بأحوال البدن، وهي: العلامات التي تدل على مزاج الشخص في حالتيّ الصّحة، والمرض.

أمّا القسم العملي، فيقسم إلى قسمين: القسم الأول: عمل اليد، كالتشريح، والمسد، والكيّ، أمّا القسم الثاني: فهو العلاج بالأدوية، وابن سينا ((يؤمن بأن الجسم الإنساني باستطاعته أن يدافع عن نفسه تجاه أسباب المرض طالما توافرت لديه القوى اللازمة لذلك، وأن الموت ليس سوى المرحلة التي يعجز فيها الجسم عن الدفاع)) زهير البابا، محمد. 1984: ض، انظر التخطيط التوضيحي لأقسام علوم الطب عند ابن سينا:

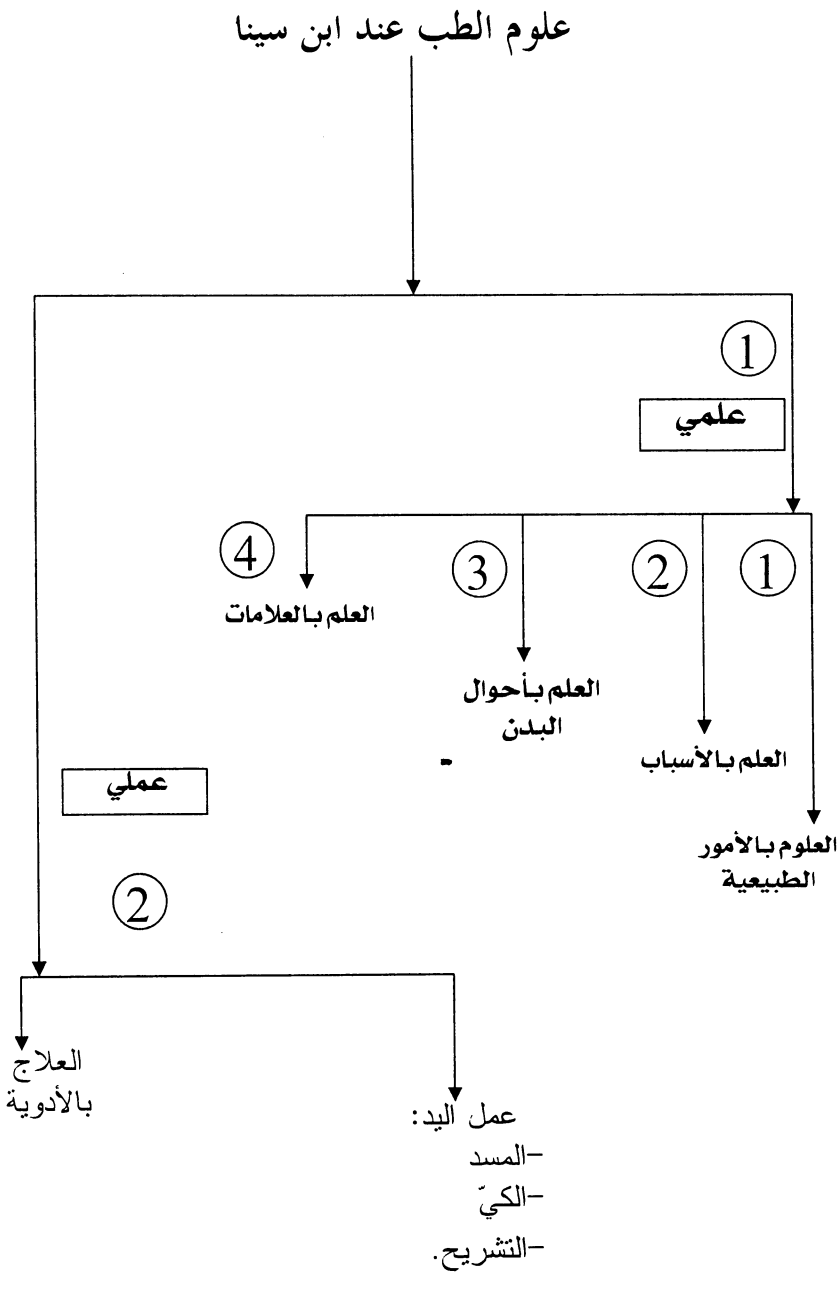
علوم الطب عند ابن سينا
1
علمي
4
العلم بالعلامات
3
العلم بأحوال البدن
2
العلم بالأسباب
1
العلوم بالأمور الطبيعية
عملي
2
العلاج بالأدوية
عمل اليد:
-المسد
-الكيّ
-التشريح.

ويتضح من هذا التقسيم أن ابن سينا،أدرك أهمية الطب،وغايته الإنسانية، وهو عمل يتطلب العناية، والدقة في إنجازه،وممارسته،وهي دعوة للباحثين في مجال صناعة الطب، وذلك باتباع المنهج التجريبي، ويعتقد كلود برنار: ((أن الطب تخصص ليكون علم التجربة، وآخذ في التقدم)) Claude, Bernard. 1865 : 26. (النص المترجم:

((je pense que la médecine est destinée à être une science expérimentale et progressive.)).

وذلك بتطبيق المنهج التجريبي بالإضافة إلى استخدام الوسائل الحديثة في الكشف، والعلاج.

-التجربة عند ابن سينا:

لقد عرف ابن سينا صناعة الطب في سن مبكرة، وكان شغوفا به، وهذا ما دفعه إلى البحث في موضوعاته، وقراءة مصنفات فيه ، وقد كان فضوله كبيرا في مجال الطب، وهذا ما سهل له الدخول في تجاربه الطبية، لقد ((جعل ابن سينا للتجربة مكانا عظيما في دراساتها، وتحرياته، ولجأ إليها في طبه، وتوصل عن طريقها إلى ملاحظات دقيقة كما وفق إلى تشخيص بعض الأمراض، وتقرير علاجها)) حافظ طوقان، قدري. 1963: 325.، ومنهج ابن سينا الطبي يمكن أن يسمى منهجا علميًا بالمعنى الحديث، فهو يقوم على الترتيب، والتنسيق في وقت قلّ وجودهما في مجال الطب في عصره.

لم يقرّ ابن سينا بفضل أحد عليه في تعلم صناعة الطب؛ إلاّ أنّه من جهة أخرى يرى البعض أن الشيخ الرئيس كان يحضر مجلس منصور القمري. وكان مشهورا بالجودة في صناعة الطب، كان ابن سينا قد لحق به، وهو شيخ كبير، وكان يحضر مجلسه، ويلازم دروسه، وانتفع به في صناعة الطب، ومن مصنفاته (علل العلل) ابن أبي، اصيبعة. 1984: 435. ويلازم دروسه، وقد انتفع به في صناعة الطب ((إذ لـ:ابن سينا نزعة إلى الاستقلال في الرأي، ورغبة في التحرر العقلي، فهو لا يتقيّد بآراء من سبقه، بل يبحث فيها، ويدرسها، ويعمل فيها العقل، والمنطق، والخبرة التي اكتسبها، فإن أوصلته هذه كلها إلى تلك الآراء الصحيحة أخذ بها، وإن أوصلته إلى غير ذلك نبذها،وبيَّن فسادها.)) المرجع السابق: 325.

فلم يكن ابن سينا يقبل المعلومات هكذا دون فحص، وتدقيق ، وترتيب حتّى تتضح تلك المعلومات وتخضع بالقياس، والتجربة أمامه يثبت صدقها، وصحتها بالدليل، والبرهان، وإن كانت خلافا لذلك رفضها، هي منهجية ابن سينا في كل ما درس، ودوَّن، وخاصة في مجاليّ الطب، والمنطق..

فالتجربة العلميَّة اتضحت معالمها عند ابن سينا في مجال الطب دون غيره، فكان يجرب، ويقارن وفي الأخير يقرر، ويثبت..

دور العقل في التجربة عند ابن سينا:

الواقع أن ابن سينا لم يكن خاضعا كليا للتجربة، وأن ما تعطيه التجربة هو الصحيح، والذي لا نقاش فيه، بل كان يؤمن بأن التجربة هي الجانب العملي الضروري لكل علم، ولكل جانب عملي لا بد له من جانب نظري ينظمه، ويضبطه، هو العقل، ((فالشيخ الرئيس يؤكد من جهة على دور العقل في كل تجربة، وملاحظة علمية (...)، ومن جهة أخرى يعدل المنطق الصوري التجريدي في اتجاه يضع فيه الأخذ بعين الاعتبار الظروف العينية للتجربة، وهنا يمكن القول أن ابن سينا كان يرفض الخضوع للعقل وحده بقدر ما كان يرفض الانصياع للتجربة المحسوسة وحدها، فالنظري، والعملي إذن عنصران متكاملان في منهج بحثه العلمي)). المسعودي،محمد المهدي. 1981 :81.

لقد اعتمد ابن سينا كغيره من الفلاسفة المسلمين على منطق أرسطو، وسلك في شروحه، ومصنفاته مسلك الفارابي، لكنه عندما نضج تفكيره، وأحسّ باستقلاله، وبسبب اشتغاله بالطب، وجد نفسه مسوقا إلى تعديل رأيه في المنطق، ذلك المنطق الذي لا يهتم إلاّ بالكليات، ولا تهتم موضوعاته بالواقع المحسوس، فكان ابن سينا في ممارسة صناعة الطب انطلاقة تجديد في بعض موضوعات منطق أرسطو، والمهم هو أن ابن سينا تبنّى ثنائية العقل، والتجربة خاصة في كتابه (القانون في الطب)، وتعتبر هذه الثنائية مبدأ من مبادئ نظريته المنطقية وجانبها العملي.

ومما سبق ذكره أن ابن سينا في كتابه (القانون في الطب) يقرر، ويصرح بأن ((الأدوية تتعرف قواها من طريقين، أحدهما: طريق القياس، والآخر طريق التجربة)) ابن سينا، أبو علي، (ب، ت) :224. فالقياس هو ردّ الشيء إلى مثيله، أو بالمشابه له، فكثيرا ما يركّب الدواء قياسا بشيء سبق تركيبه لاشتراكه في جوهر ما معه، ففي علاج وجع الأسنان يؤخذ الثوم كمادة أساسية تضميدا، أو تقطيرا في الأذن، ويمكن تعويضه بمادة الخلّ الأحمر لاشتراكهما في جوهر واحد هي الحرارة، والبرودة بالإضافة إلى التجفيف، وذلك بغسل الفم مع قليل من الملح.

فالصيدلي (بائعا، أو محضرا)، فهو لابد أن يكون عارفا بالأدوية المتشابهة في العمل، والنتائج، فهو في هذه الحالة يجتهد في تحضير، أو اختيار دواء يناسب الطلب بالقياس إلى الدواء الذي نفذ من المخبر، أو من الصيدلية ، فالخبرة، والممارسة كفيلتان بنجاح القياس لدى الصيدلي في تحضير الدواء في المخبر، أو اختيار الدواء الذي له نفس الدور في العلاج.

أمّا التجربة، فهي طريق الصيدلي في تحضير الأدوية، ويدخل القياس حتما في هذه المرحلة كمقادير، واختيار مواد مضادة لمرض ما، وقد مرت مرحلة تحضير الدواء في التاريخ على مراحل عدّة؛ مرحلة التجريب على الحيوان لبعض المواد، وأيضا في النبات الذي عرف بعض الاستعمالات لبعض المواد المركبة.

فالتجربة هي الممارسة العملية، والمعرفة الدقيقة للمواد المركبة للدواء، والغاية التي وضعت له.. والنقطة المهمة في هذا الباب هي المقادير التي عرفت في السنوات الأخيرة كأدوات، ومقاييس لضبطها.

فالتحليل المخبري المعاصر أعطى نفسًا طويلا لنوعية الدواء، وفوائده، والدقة في استعماله.

لقد عرف الطب المعاصر مرحلة متطورة جدا، وذلك بدخول التكنولوجيا في مخابره والبحث في أسباب الأمراض المختلفة، وحتى في طرق العلاج.

ولا يمكن الفصل بين القياس، والتجربة كما لا يمكن الفصل بين العقل، والممارسة العملية بصفة عامة، وفي الطب بصفة خاصة، كما أقر ابن سينا في كتاب القانون، وفي منهجيته..

منهجية ابن سينا في العلاج:

الحقيقة أن ابن سينا قد صرَّح في كتبه الطبية أن طريقة العلاج تتمثل في ثلاث أقسام أساسية: القسم الأول منها هو التدبير، والتغذية، وهي مرحلة تتطلب تنظيم الغذاء، وانتقاء ما ينفع الجسم من أنواع الأطعمة، والقسم الثاني هو مرحلة الأدوية، وهي مرحلة يستعمل الإنسان فيها أدوية شافية لمرض ما معين تحدده الصفات الجسمية، أو العوارض المختلفة، والقسم الثالث هو مرحلة أعمال اليد، كالمسد، والكيّ، والتشريح..

وقد ذكر ابن سينا هذه الأقسام في كتاب القانون، قوله: ((العلاج يتمّ من أشياء ثلاثة أحدها: التدبير، والتغذية، والثاني استعمال الأدوية، والثالث استعمال اليد)) ابن سينا، أبو علي. (ب،ت) :187. وهي لا تختلف كثيرا عن المنهجية المعاصرة في العلاج إلا بإضافة التلقيح الذي صار ضروريا في وقتنا الحاضر في المراحل الأولى لحياة الإنسان كوقاية من بعض الأمراض.

يرى ابن سينا في المعالجات أن نبدأ بالتي هي سبب المرض، ثمّ تنتقل إلى التي هي عوارض، وكأنه يقول على الطبيب أن يدقق في فحوصه، وأن يشخص المرض أولا، ثمّ يحدد الدواء الذي يبرئ المرض؛ ويعطي ابن سينا مثالا قوله: ((مثل إذا عرضت سدة السدّة: انسداد وانغلاق ويطلق عليها باللغة الفرنسية (Obstruction). وحمّى عالجنا السدّة أولا، ثمّ الحمى...)) ابن سينا، أبو علي. (ب،ت): 221. لأن السدّة في هذا المثال هي السبب الرئيس للمرض، والحمى ظاهرة ناتجة عن هذا الانسداد، أو الانغلاق في الشرايين.

لكن إذا كان المريض بعيدا عن الطبيب، أو المستشفى، وجب على أهل المريض أن يخففوا وطأة الحمى بوضع ثلج، أو قطعة قماش مبلولة بماء بارد على

صدره، والثالثة هي غسل القدمين بماء بارد على جبينه، وقطعة أخرى على بطنه، وليس على صدره، وهذه المرحلة تسمى بمحاربة الحمى؛ لأن الحمى إذا كانت بدرجة عالية، فإنها قد تنعكس سلبا على الجسم ، فتصيب المريض بالشلل في عضو من أعضاء جسمه، وقد تكون سببا لموته!

لقد كان ابن سينا في ((ممارسة مهنة الطب يعالج تأدبا لا تكسبا، ولم يرتزق من تلك المهنة إلاّ في حالات قليلة نادرة لاسيما في حالات عدم استقراره الاجتماعي، والسياسي)) المسعودي، محمد المهدي. 1981 :72. وقد مارس ابن سينا مهنة الطب في أول الأمر إلى جانب الفلسفة، والمنطق حبًّا في العلوم الطبية لأنه لم يكن يحتاج إلى مال، وذهب، وإنما باحثا، ودارسا في طلب أسرار هذا العلم الذي رآه علما سهلا، وفي ذات الوقت من العلوم الضرورية، ومهنته كطبيب جعلته يحتل مكانة اجتماعية يحسد عليها فكان لا يطلب من المريض مالا، وإنَّما ماله هو نجاحه في العلاج، والوصول إلى ملاحظات قد تساعده في بحوثه، وتركيب أدويته، هكذا كان ابن سينا. كيهان، رهكذر. 2005 قرص مرئي. وهكذا كان يعالج مرضاه.

صناعة الطب وعلاقته بالمنطق عند ابن سينا:

لقد كان الطب قديما أقرب إلى السحر منه إلى العلم، لكن أهميته في حياة الإنسان جعلته موضوع بحث، ودراسة، وتجربة، ويقال (أن الحاجة أم الاختراع)، وهذه الحاجة هي التي جعلت ابن سينا يهتم بالطب لأنه وجده علما ضروريا، وأساسيا في حياة البشر في كل مكان،وزمان، وقد أخضع صناعة الطب إلى العقل، والتجربة معا، وقد تساءل بعده بقرون(كلود برنار) قائلا: ((يبقى السؤال مطروحا لمعرفة هل الطب يبقى علم الملاحظة، أم صار علم التجربة؟ (قول كلود برنار:

((Maintenant reste la question de savoir si la médecine doit demeurer une science d'observation ou devenir une science expérimentale ?)) Bernard, Claude. 1865 : 26.

وقد سبق أن ذكرت بأنّ (كلود برنار) (1813م–1878م)، عالم فرنسي له كتاب (مدخل لدراسة الطب التجريبي).) صرّح أن الطب علم التجربة وبالتجربة فقط يتقدم لا شك في ذلك، وما نراه من معاهد طبية، ومدارس عليا متخصصة لهو دليل على أن ابن سينا قد كان صائبا في ما ذهب إليه في كتاب القانون في الطب الذي ركز فيه على التجربة أولا، وبذلك يكون قد سبق أطروحة (كلود برنار) بقرون، وبعبارة أخرى أدق، نقول أن ابن سينا قد اهتم بالجزئي، هذا الذي نراه بالعين المجردة، وفي إمكاننا تحديد خواصه، وأعراضه، وبه فقط نستطيع التعميم، وإبداء الرأي الكلي فيه ثانيا.

يقول ابن رشد: ((إن الصناعة التي يقول فيها أنّها علمية منها ما يقال لها عملية، وهي إنما تعلم بالعمل مثل صناعة التجارة والخياطة، ومنها ما يقال لها علمية، وهي إنما تتعلم بالعلم أعني البراهين والحدود لكن غاية العلم فيها إنّما

هي العمل، وهذه هي حالة صناعة الطبّ..)) ابن رشد، (مخطوط) تحت رقم: 1753: 10.، ليس يكتفي في هذه الصناعة بالعلم دون التجربة، ولا بالتجربة دون العلم، بل بهما معا، وبهذه الثنائية كانت انطلاقات واكتشافات ابن سينا في مجال الطبّ من مجربات، وقياسات. انظر التخطيط التوضيحي التالي:

قياس مضمر

السقمونيا -------- دواء (نتيجة)
لأنّها مسهلة للصفراء (صغرى)

وبالقياس المنطقي الاقتراني نرى:

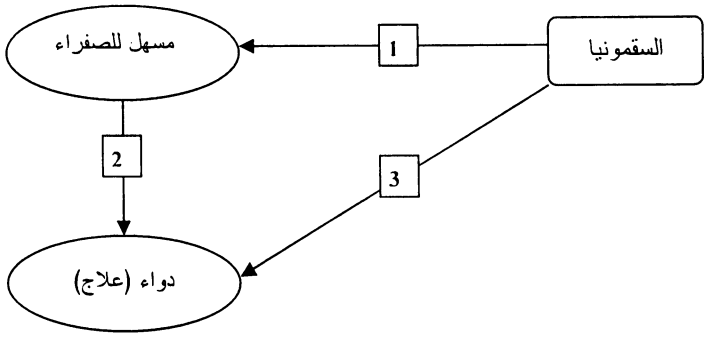

(1) السقمونيا مسهل للصفراء.
(2) المسهل للصفراء علاج.
(3) السقمونيا علاج (النتيجة)

المجربات:

هي ما ذكرها ابن سينا في كتاب القانون في الطبّ، وفي بعض كتبه المنطقية قوله: ((السقمونيا: نبات له أغصان كبيرة مخرجها من أصل واحد طولها نحو من ثلاثة أذرع، أو أربعة عليها رطوبة، وهذا النبات له زهر أبيض مستدير ثقيل الرائحة ويطلق عليها باللغة الأجنبية (Scamonia) من كتاب عيون الحكمة لابن سينا، أبو علي. (ب،ت): 11، ومن كتاب القانون: 385. مسهل للصفراء (المرّة) وهي أحر الأخلاط الأربعة، والأخرى هي الدم (الحلو)، والسوداء (الحامض)، والبلغم (المالح).) ابن سينا، أبو علي. (ب،ت): 385. ويمكن وضع التجربة في صورة قياس اقتراني.

السقمونيا مسهل للصفراء
(صغرى)
والمسهل (للصفراء) دواء السقمونيا هي مسهل أي دواء وعلاج للصفراء.
(كبرى)
إذن: السقمونيا دواء. **(نتيجة)**

ويمكن صياغة هذه التجربة في صورة قياس مُضمر (القياس المضْمَر (L'enthymème) هو ما حذفت منه إحدى أجزائه التي يتألف منها لوضوحها في الذهن وعدم الحاجة إليها، ويعرفه مناطقة(بور رويال) بـ: (أنّه القياس الكامل في الذهن الناقص في التعبير)، والذي لا يلتزم بالصورة المنطقية للقياس، وهذا القياس شائع الاستعمال بين النّاس في أحاديثهم، وفي كتاباتهم وهو من ثلاثة درجات الأولى من نتيجة ومقدمة صغرى، والثانية من نتيجة ومقدمة كبرى، والثالثة من مقدمة صغرى، وكبرى فقط.) من الدرجة الأولى، نقلا عن/ فضل الله، مهدي. 1985: 221. قولنا:

السقمونيا دواء **(نتيجة تجربة)**

لأنها مسهلة للصفراء **(صغرى)**

ومن المجربات قوله: إذا شربت عصارة النعناع بالخل قطعت سيلان الدم من البطن، وبالقياس نقول:

إذا شربت عصارة النعناع بالخل.
قطعت سيلان الدم من البطن. ابن سينا، أبو علي ،(ب،ت): 374.
لكن لم تشرب عصارة النعناع بالخل.
لم ينقطع سيلان الدم من البطن.

وهو قياس شرطي متصل استثنائي، وهو ما يسمى النفي بالنفي، وهناك مجربات نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، قوله في المغص الذي في الجوف:

فاسقه الكمون ثمّ المصطكي (المصطكي: اللوبان.)

والشمر الأخضر (الشمر الأخضر، ومعناه الثوم الأخضر.) يذهب ما شكى (زهير البابا، محمد. 1984: 205)

وهو تركيب مجرب في ذهاب الألم الذي يكون في البطن عند الكبار،والصغار على السوى، وهو من كمون ولوبان، وثوم أخضر، مشروبا، أو معجونا، وفي الهضم قوله:

وكل ما يأبى عليك خضمه.

فإنه صعب عليك هضمه (المرجع السابق. 1984 :154)

ومعنى ذلك أن الأضراس إذا عجزت عن كسر شيء فإن المعدة لا تهضمه، وعندنا أمثلة من الواقع وهي كثيرة، فكل من بلع نواة تمر مثلا، أو زيتون فإن المعدة يصعب عليها هضمهما، وهي إشارة طبية ينصح بهذا الطبيب، وذلك بأن يهضم الإنسان طعامه هضما جيدا تسهيلا للمعدة في عملها.

وآخر ما اخترته من المجربات قوله في علاج الطحال (غدّة إسفنجية في يسار جوف الإنسان، وغيره من الحيوانات وجودها بالجنب.):

وصاحب الطحال لا تنساه.

فالخلّ والتين له شفاه. المرجع السابق. 1984: 204.

وابن سينا في هذه المجربات نراه تارة ناصحا ومرشدا، وتارة طبيبا مجربا لأعشاب، ونبات أثبتتها التجربة، والممارسة من نجاحها في العلاج ونراه يقول ناصحا، وطبيبا في علاج المرضى، والتزام القياس في العليل (العليل هو المريض.).

إذا أردت الحكم بالدليل.

ففي الدليل صادق قواه.

وغيره يكذّبه سواه (المرجع السابق. 1984: 150)

فالطبيب المعالج لابد له من أن يتأكد في فحوصه، وتحاليله للمريض، وبعد التشخيص له أن يختار الدواء الناجع لعلاج المرض الذي ظهر له، فليس بكثرة الدواء، وإنما بالدواء المناسب.

وبعد المجربات نذكر بعض القياسات التي كثيرا ما ذكرها في كتبه الطبية، والمنطقية كدليل لعلاقة المنطق بالطب والعلاج، ومنها قياس الدليل، والعلاقة، والقياس البرهاني، والقياس الاستثنائي، والقياس الاقتراني ، وقياس الخلف فالحاجة إلى القياسات المؤلفة من الممكنات ماسة)) (ابن سينا، أبو علي. 1964: 161. وأن الأقيسة الطبية في أغلبها ممكنة.

-**قياس الدليل**: الدليل هو المرشد إلى معرفة الغائب عن الحواس وما لا يعرف باضطرار، الباقلاني، ابو بكر. 1974 :39 .

قوله: هذه المرأة ذات لبن **(صغرى)**

وكل ذات اللبن قد ولدت **(كبرى)**

فهذه المرأة قد ولدت. **(النتيجة)** (ابن سينا، أبو علي. 1992: 75.

أمّا قياس العلامة ففي قوله: ((هذه المرأة مصفرة فهي إذن حبلى)) المصدر السابق:75. ولكن الاصفرار ليس على الحبلى فقط، لأن الاصفرار ممكن أن يكون على غير الحامل، بل على مريض في فقر الدم مثلا، أو غيره.

والقياس البرهاني (عرف ابن سينا هذا القياس، وأشار إليه بأمثلة أخرى لا علاقة لها بالطب لكن غيره من أمثال: الجرجاني. 1995: 44، والتهانوي، محمد علي، (ب،ت): 324. قد ذكرا هذا المثال من قياس البرهان بهذه الصورة التي ذكرتها.): من نوعين (لمي) (لمّي؛ هو حرف السؤال يطلب به سبب وجود الشيء، وكأنه قيل لماذا؟)، و(إني) (إنّي؛ وهو ما لم يكن الحد الأوسط علة للحد الأكبر، ويسمى قياس الدّلالة.).

اللمي هو ذكر العلة في القياس مثاله:

هذا متعفن الأخلاط **(صغرى)**

وكل متعفن الأخلاط محموم **(كبرى)**

إذن النتيجة: هذا محموم.

والإني هو ذكر المعلول في القياس مثاله:

هذا محموم.

وكل محموم متعفن الأخلاط.

إذن **النتيجة**: هذا متعفن الأخلاط ابن سينا، أبو علي. 1992: 83-84.

القياس البرهاني (اللمي)

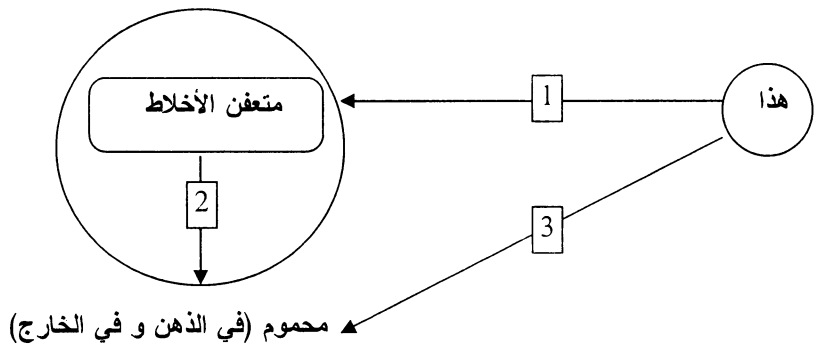

ونقرأ:

(1): هذا متعفن الأخلاط. (العلة هنا هي متعفن الأخلاط ويعني بها الحد الأوسط في القياس)

(2): وكل متعفن الأخلاط محموم.

(3) هذا محموم (النتيجة)

من العلـــة إلى المعلول برهان (لـــمي)

المتعفن المحموم

القياس البرهاني (الإني)

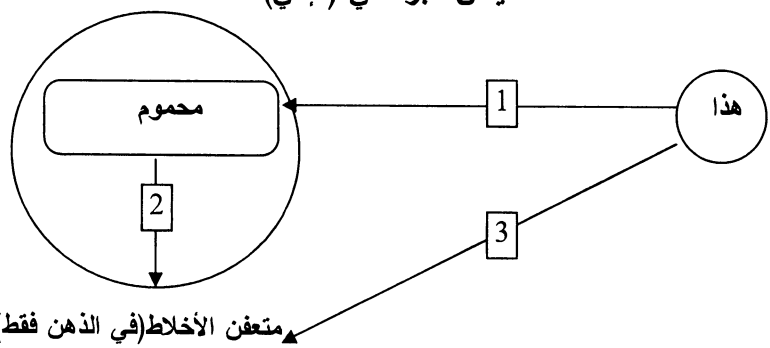

ونقرأ:

(1): هذا محموم. (المعلوم هنا هو (محموم))

(2): وكل محموم متعفن الأخلاط.

(3) هذا متعفن الأخلاط (النتيجة)

-من المعلول إلى العلة برهان إني:

المحموم المتعفن

والقياس الاستثنائي ما ذكره ابن رشد في الأرجوزة قوله: ((الأعراض هي فـــي العليل أمراض، وهي عند الطبيب أدلة على الأمراض، ولما كانت الأمـــراض هي سبب الأعراض، كانت الأعراض أدلة على الأمـــراض.)) زهيـــر البابـــا، محمد. 1984: 115.

وقد ذكر الشيخ الرئيس هذا في بيت شعري قوله:

هذه الأعراض فـــي ذي العـــلـــة

أمـــراضـــه وعـــندنا أدلـــة

(المرجع السابق. 1984 :115)

وفي القياس الاستثنائي قول ابن سينا:

إن كانت هذه الحمى حمى يوم.

فهي لا تغير النبض تغييرا شديدا.

لكنها غيرت النبض تغييرا شديدا.

فينتج أنها ليست حمى يوم.

(ابن سينا،أبو علي.1960: 426)

انظر التوضيح التالي:

القياس البرهاني (الإني)

الحمى

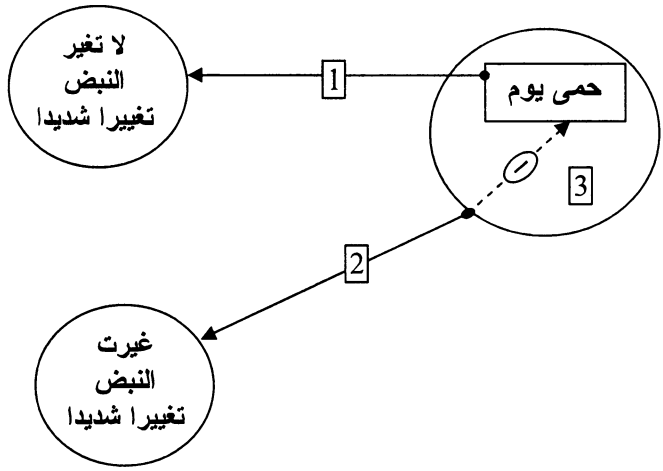

ونقرأ:

(1) حمى يوم لا تغير النبض...

(2) الحمى غيرت النبض ...

(3) الحمى ليست حمى يوم.

أما القياس الاقتراني، فهو الذي ذكره ابن رشد في شرحه لأرجوزة ابن سينا:

قول الشيخ الرئيس:

مـــزاجها يـــدرك بالـــمذاق

وبالقياس الصائب المصداق

ابن رشد، (مخطوط):29.

يريد أمزاج الأدوية تدرك بالمذاق لا بأن المذاق يدرك بالطعم، والطعم يدل على مزاج الدواء، ولما كان الطعم إنما يدل على مزاج الدواء بالقياس قال وبالقياس الصائب المصداق.

وصورته بالقياس:

أمزاج الدواء تدرك بالمذاق **(صغرى)**

وليس المذاق يدرك بالطعم **(كبرى)**

إذن: أمزاج الأدوية ليست تدرك بالطعم.(أنهم يسمون بالطعم كل ما يحكم عليه بالمذاق)، من كتاب القانون في الطب لابن سينا، أبو علي.(ب،ت):228.

وصورة هذا القياس التالي:

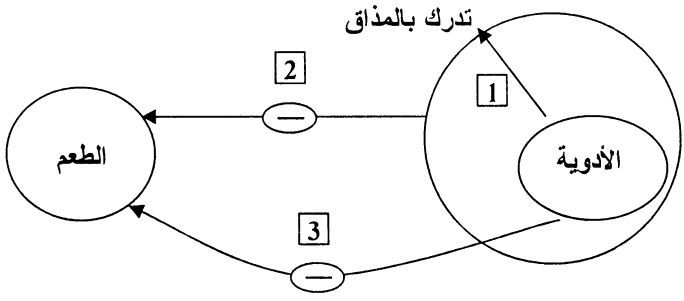

وبطريقة قياس الخُلف:

فإذا أردنا البرهنة على أن الأدوية تدرك بالمذاق نقول:

إن لم تكن الأدوية تدرك بالمذاق

فإن الأدوية لا طعم لها.

لكن الأدوية لها طعم.

(عن تجربة)

وإذا لم تكن الأدوية تدرك بالمذاق.

لم تكن الأدوية لها طعم.

لكن الأدوية لها طعم.

إذن/ الأدوية تدرك بالمذاق.

وهو المطلوب.

وهناك قياسات اقترانية ذكرها الشيخ الرئيس ابن سينا في كتبه الطبية نذكر منها:

الأضراس أريد منها الطحن **(صغرى)**

وكل ما يراد منه الطحن يعرض **(كبرى)**

إذن/ الأضراس عريضة. (ابن سينا، أبو علي. 1992: 106.

وفي قولنا:
زيد مريض بالسدّة (السدة هنا **(علة)**، والمعلول هو زيد، ويرى ابن سينا أن تعالج السدّة أولا ثمّ الحمى.) **(صغرى)**
والسدة سبب الحمى **(كبرى)**
إذن/ زيد محموم. ابن سينا، أبو علي. (ب،ت): 221.
وفي قولنا:
النفث (النفث هو بصاق المسلول.) سببه حالة مرض الصدر.
وحالة مرض الصدر السعال.
إذن/ النفث سببه السعال. زهير البابا، محمد. 1984: 122.
وهناك ذكر للحمى قول ابن سينا:
هذا محموم.
وكل محموم يشعر بقشعرية.
إذن/ هذا يشعر بقشعرية. ابن سينا، أبو علي. (ب،ت): 537.
وهناك قياس ذكره ابن سينا دون ذكر النتيجة، وهو ما يطلق عليه بـ (قياس العلامة) أو المضمر.

وهو قوله: زهير البابا، محمد. 1984: 227 الفرح لذة ما.

وكل لذة فهي إدراك لحصول الكمال.
ويمكن أن نستنتج من هذا القياس أن:
الفرح إدراك لحصول الكمال.

ومن هذه الأمثلة من القياسات يمكننا أن نقول أن ابن سينا مارس الطب، وهو مستعينا بالقياسات المنطقية التي من شأنها أن تضبط المعلومات والأفكار، والأدلة، فصناعة الطب عنده لم تكن بدون ضابط، فان المنطق من أهم أدواته في انشغاله بالطّب، وخاصة القياسات الممكنة وقد أضفت هذه الثنائية بين صناعة الطب، والمنطق طابعا علميا واضحا في فكر الشيخ الرئيس ابن سينا، رحمه الله.

فهرس المصادر بالعربية:

1-ابن سينا الإشارات والتنبيهات، القسم الأول، مع شرح نصير الدين الطوسي، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف، بمصر، 1960.

2-ابن سينا، القانون في الطب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (ب،ت).
3- ابن سينا،القياس،تحقيق سعيد زايد، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية،القاهرة، 1964.

4- ابن سينا، النجاة في المنطق والالهيات، حقق نصوصه، وخرّج أحاديثه، عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1992.

فهرس المراجع بالعربية:

1- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح، وتحقيق، نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1965.

2- ابن رشد، شرح الأرجوزة المنسوبة لابن سينا في الطب (مخطوط)، المكتبة الوطنية، تحت رقم: 1753، الجزائر.

3- أبو بكر محمد بن الطيب بن الباقلاني، التمهيد في الردّ على الملحدة المعطلة، والرافضة والخوارج، والمعتزلة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1947.

4- الجرجاني، كتاب التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1995.

5- جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، ط،2، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1997.

6- كيهان رهكذر، ابن سينا، ترجمة نور الدين ميرزادا، (فيلم تاريخي يحكي قصة الطبيب ابن سينا)، الجمهورية الإسلامية الإيرانية، قرص مرئي، ميديا سوفت، للإنتاج والتوزيع، الهادف، وهران، الجزائر، 2005.

7-قدري حافظ طوقان، تراث العرب العلمي، في الرياضيات والفلك، دار الشروق، بيروت، لبنان، 1963.

8- محمد المهدي المسعودي، ابن سينا، دار سراس للنشر، تونس، 1981.

9- محمد زهير البابا، من مؤلفات ابن سينا الطبية، (كتاب دفع المضار الكلية عن الأبدان الأرجوزة في الطب، كتاب الأدوية القلبية)، معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب، دمشق، 1984.

10- محمد علي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، الجزء،2، تحقيق، علي دحروج،نقل النص الفارسي الى العربية،عبد الله الخالدي، مكتبة لبنان، ناشرون، (ب.ت).

11- مهدي فضل الله، مدخل إلى علم المنطق، ط، 3، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1985.

فهرس المراجع باللغة الأجنبية:

1-Avicenne, le livre de science, (logique, Métaphysique), Tome. 1, Traduit par Mohammad Achena, et henri Massé, Société D'édition Les belles lettres. Paris, 1955.

2-Claude Bernard, Introduction à l'études de la médecine expérimentale, les lettres française. Paris, 1865.